(١٢)

المقصود وجه الله
المقصود رسول الله
المقصود روح الله

حديث الجمعة

١٧ شعبان ١٣٨٠ هـ - ٣ فبراير ١٩٦١ م

إليك.. إليك يا من انفردت بالعظمة في ذاتك، وبعدم المشاركة في صفاتك، وبعدم الانقطاع لآياتك.

إليك يا واحد، يا أحد، يا متوحد، يا متحد. إليك في أنفسنا منزها عن أن لا تكونك.

وإليك علينا منزها عن أن نكونك.

إليك لا تدرك منزها عن أن ندركك.

وإليك معروفا منزها عن أن نجهلك.

وإليك يا من هو كل وجودنا ولسنا إلا وجوها في وجوده.

إليك يا موجود يا من ندرك معاني الفناء لنا في إدراكه، ومعاني العجز لنا في قدرته، ومعاني الرحمة بنا في وصلته، ومعاني الجنة في أنفسنا في لقائه، ومعاني النار قائمة بنا في جفوته منا وبعده عن حسنا، ومعاني الحساب منه في يقظة ضمائرنا، وصحو عقولنا، وحياة نفوسنا، واستقامة مباينا، على مراد معاينا.

إليك يا من لا يقصد غيره، ولا يرجى سواه.

إليك ظاهرا لا يغيب سرمده، وإليك باطنا لا يدرك أبده.

إلى عبدك فيك، ورسولك منك، وحقنا به من عظيم حقك.

إلى وجه قدسك، ويد فعلك، وقدم قربك وبعدك.

إلى شرف إنسانيتك، وظهور إنسانك، ولسان بيانك، وكتاب هديك، وقرب عنوانك. من عرفناه محمدا، وذكرناه عبدا، وقدرناه رسولا، وآمناه خلقا، ونطمع أن نشهده بك حقا. عطاء منك وفضلًا.

إلي من إذا صدقناه صدقناك، ومن إذا عرفناه عرفناك، ومن إذا قاربناه قاربناك، ومن إذا وجدناه وجدناك، ومن إذا كناه كناك.. إلى عبدك في حضرتك لا ندركه ولا نقدره، إلى رسولك في ضمائرنا نجده، وفي شرائعنا نسترشده، وفي طرائقنا نرتضيه، وعلى نفوسنا نُعلِّيه فيه نمتطيها، وللناس نضعها فنحييها.

إلى من به عرفنا أنفسنا فيك به فينا. إلى من به فيه من أنانية النار تنجينا. وبالجنة له فيه تؤوينا، وبرحمة رحمتك ترتضينا، وبالحق معه فيه تعلينا وتحيينا.

إلى من به عنا وعن دنانا تغنينا، ومن به فيك وجها لك تبقينا.

إلى من به تميتنا وتحيينا، وترضاه فترضينا، وترضانا فترضيه.

إلى ابن الأمان وآمنة.. إلى ابن السلام وعبد الله.. إلى آمنة الأمومة.. إلى عبد الله الأبوة.. إلى من جعلته عليا في علاك، وجعلته حَسنا مرضيا في بديع معناك، ودانيته حسينا لمن والاك، وفطمت نفسه عن هواها وكشفتها لنا بمعناها، فكان روح قدسك، وإنسان حقك، وعبد عظمتك، ويد قربك، وقدم سعيك، ووجه جمالك، ومعنى حالك.

إلى مدينة العلم.. إلى مدينة السلام.. إلى نسائم الرحمة.. إلى السلام.. إلى سلام القيام.. إلى المخاطب في الناس بياسين.. إلى المخاطب بالرحمة في العالمين.. إلى المخاطب بقوانين الحياة في ألف لام ميم {الم}[1].. إلى مرتقى السموات في حا ميم {حم}[2].. إلى كتاب الله في كاف ها يا عين صاد {كهيعص}[3].. إلى المخاطب بعظمتك في ألف لام راء {الر}[4].. إلى المأذون بالسفور بحقك في طأها {طه}[5].. إلى من لم يعرفه غير ربه، ولم يشرفه بغير عبده.. إلى بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى عبد الله في السموات والأرض.. إلى الطاوي للسموات والأرض بعبوديته لربه.. إلى نور السموات والأرض.. إلى مصباح الصدور.. إلى سراج القلوب.. إلى السكينة.. إلى رسول السكينة.. إلى المنزِّل للسكينة.. إلى من أُنزل بالحق.. إلى من بالحق نزل.. إلى من أبرزه الحق بالحق.. إلى من بالحق للخلق برز.. إلى عبد الله.. إلى رسول الله.. إلى حق الله.. إلى كل الناس.. إلى كل الأجناس.. إلى حاضر الناس.. إلى قديم الناس.. إلى جديد الناس.. إلى من شرَّف الناس.. إلى من شرُف به الناس.. إلى من حقق الناس.. إلى من تحقق به الناس.. إلى من شَرّف بالناس.. إلى من تحقق بالناس.. إلى وجه الناس.. إلى رب الناس.. إلى ملك الناس.. إلى إله الناس.. إلى خادم الناس..

إلى عبد الناس.. إلى روح الناس.. إلى مظهر روح الناس.. إلى محمد.. إلى أحمد.. إلى محمود.. إلى حامد.. إلى حمد الله.. إلى الحمد لله رب العالمين.. إلى الحمد لله مالك يوم الدين.. إلى إياك نعبد وإياك نستعين.. إلى اهدنا الصراط المستقيم.. إلى صراط الذين آمنوا وعملوا الصالحات غير ضالين.. إلى الأسوة والمثال.. إلى القدوة والكمال.

إلى الله ورسوله.. إلى الرب وعبده.. إلى الرسول وإلهه.. إلى العبد وربه.. إلى الظاهر والباطن.. إلى الباطن والظاهر.. إلى كل شيء.. نتوجه ونلجأ مؤمنين مفتقرين.

بهما إليهما نتوجه شاكرين، ونسجد حامدين، وندخل باب الرحمة مطأطئين، ونسألهما مفتقرين، ونغنى بهما غير مستغنين، لما أنزلوا على هذه الأرض من نسمات السكينة في نسمات السلام، وانقشاع غمة الخصومة، وغمة الصراع في حرب باردة أو ساخنة.. فها هي ريح السلام تهب علينا طيبة عطرة. وها هم خصوم السماء يزحزحون عن أماكنهم، ليحل محلهم جنود للسلام وطالبون للسلام...

فنسأله تعالى ببركة رسول السلام، ومدينة السلام، أن يتم نعمة السلام لأهل هذه الدار، من دور الخصام ودور السلام.

ها هي الرسالة الروحية، وها هو الروح المرشد من دار السلام، من مدينة السلام من حضرة السلام، من لانهائي السلام تنتصر على قوى الخصام، تنتصر على الملتوين المفرقين بين الناس من اللئام. مكروا مكرا ومكر الله مكرا، وبار مكرهم - وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال - وانتصر مكر الله. ولله المكر جميعا.

لقد عملت الدوائر الروحية في سائر بقاع الأرض جاهدة دائبة، لله ذاكرة، وله مسلمة، وبه مؤمنة، وعليه معتمدة، وبه متوكلة لتكون بأهلها جندا في معركة السلام، يقودها عالم الروح، لتوحيد عقول البشر على الأرض، وتهيئة توحد قلوبهم بينهم في أنفسهم، حتى يعرفوه بين جوانحهم، وحتى يعرفوه أقرب إليهم من حبل الوريد، على كل نفس قائم، ومن ورائها محيط، حتى يعرفوا أنفسهم وجوها ناضرة في مرآة ربها ناظرة، أو يعرفوا أنفسهم وجوها عليها غبرة ترهقها قترة.

إن رسالة الروح هي رسالة الله تعريفا عن نفسه وقياما بنفسه على خلقه، مظاهر نفسه، وعوالم قيامه، وحضرات أنامه، نياما فيه أو قياما به. فإذا استيقظوا أنامه، قاموا قيامه، إذا تناسوا أناهم، للهو في معناهم، نطق منهم بأناه، وقام بهم بمعناه بعد أن كان قائما عليهم بقيومه، قام بهم بقيامه، فقامهم بمعناه، بفناء أنامهم في نيامهم، وصحو أنامه في قيامهم.

إن السماء تستقبل أبناء الحقيقة باسمة راضية، والأرض تستقبل أبناء الحقيقة ساعية نامية، طيعة راضية. إن أبناء الحقيقة ما هم إلا أوادم الخليقة، يتخلون عن بيوتهم رؤوسا لها إلى بيت الحقيقة أطفالا فيها. إنها دورة الحياة بين القديم والجديد، وبين الجديد وما يتجدد منه، بعثا لقديمه في دورة دائرة دائبة ليس لها نقطة بدء. كل بدء فيها هو انتهاء، وكل انتهاء فيها هو ابتداء، مشارق ومغارب، مشرقين ومغربين، مشرق ومغرب. إن المشرق والمغرب يختلفان ويتلونان، ولكن المشرق باطنه مغرب، والمغرب باطنه مشرق. إن الليل والنهار يتعاقبان ويتداخلان، بداية الليل نهاية النهار، وبداية النهار نهاية الليل. إن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، في وحدة يوم من زمان، وقيام حقي من إنسان.

وإنكم أيها الأيام، فيكم الليل والنهار، فيكم الشروق والغروب، عليكم وعلى أرضكم يقوم المشرق والمغرب. أنتم أيها المشارق والمغارب، أيها العالَمون.. أَلِربِّ العالمين - في أنفسكم - ألا تَذَكَّرون؟! وله - وهو معكم - ألا تخضعون! وبه - وهو لكم - ألا تقومون! وله - وهو إياكم - ألا توحدون! ورسول رحمته لكم ألا تقومون!

إن الله معكم حيثما تكونون. إن الله لكم عرفتم أو لا تعرفون. إن الله هو نور إشراقكم، وهو سكينة ظلامكم، إذا كنتم له لا تجحدون.. أفرأيتم إن أرسل عليكم النهار سرمدا من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟! لا تظنوا به الظنون إذا نشر الليل عليكم، ونشر الليل بكم، ونشر الليل فيكم، فإن النور بذلك يكمن ويسكن فيكم ليأخذ في الظلام مكانه، وليتعلم فيكم على الظلام حنانه، حتى يذهبه في رفق ويقشعه في سلام.. إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، فإذا نشر فيكم نوره فأدركتم الحقيقة، وفهمتم الطريقة، أشفقتم على أهل الظلام، وحننتم لأهل الظلام، واحتضنتم بينكم أهل الظلام، لتميتوا الظلام فيهم، وتشرقوا بنوركم في قلوب أهله في رفق وإشفاق وحنان. لا تَخَاصَموا بينكم ولكن توادوا.. لا تنافروا بينكم ولكن تحابوا.. لا تفرقوا بينكم ولكن توحدوا واتحدوا.. وإذا خاطبكم الجاهلون فكونوا لهم سلاما.

هذا ما تأتيكم به السماء اليوم، وقد جاءتكم السماء به في الأمس، وهو ما ستكونون به أنتم سماء في الغد، ترعون به عوالمكم وتسهرون به على ما تخلق منكم.

إن الربوبية بالسماء اليوم تعلمكم لتكونوا عباد حاضركم أرباب غدكم.

إن الروحية من السماء اليوم تهيئكم لتكونوا أنبياء أو أصحابا للأنبياء.

إن الروحية من السماء اليوم تفتح لكم أبواب السموات والأرض بفتحها لكم أبواب أنفسكم.

إن الروحية من السماء اليوم تجمعكم أرضا على سمواتكم وتحييكم سماء على أراضيكم.

إن الروحية من السماء اليوم جماع الأديان.

إن الروحية من السماء اليوم جماع الإحسان.

إن الروحية من السماء اليوم جماع العوالم والأكوان.

إن الروحية من السماء اليوم تجعل منكم جميعا أعلاما على الله.

إن الروحية من السماء اليوم تجعل منكم جميعا وجوها لله.

إن الروحية من السماء اليوم هي ممن هو من ورائكم محيط.

إن الروحية من السماء اليوم هي ممن هو أقرب إليكم من حبل الوريد.

إن الروحية من السماء اليوم هي ممن هو معكم أينما كنتم.

إن الروحية من السماء اليوم تعرفكم أن الله إنما هو أنتم والله أكبر.

إن الروحية من السماء اليوم إنما هي قيامة الحق في قيامكم.. إنما هي تحقيق الخلق في تحقيقكم.. إنما هي حشر الخلائق في حشركم.. إنما هي تجمع الحقائق في تجمعكم.. إنها البعث.. إنها القيامة.. إنها الساعة.. إنها الحق...

ها هي تنشر ألوية السلام بين الناس، وتستل سخائم الخصام من صدور الناس، ليتنبه الناس أنهم كانوا في خصام أكبر، وأنهم يجب أن لا يكتفوا ويفرحوا بسلام لأبدانهم بل عليهم أن يطلبوا السلام لقلوبهم حيث جنانهم.. ولعقولهم حيث حقائقهم.. ولنفوسهم حيث مغانمهم.. لسلامتهم من الفناء.. ولسلامتهم من القطيعة.. لسلامتهم من الخيبة.. ولسلامهم من الفاقة... لسلامتهم من العجز في سلامهم مع الله بين جوانحهم.

ها هي الروحية من السماء اليوم توشك أن تنتهي من حربها الصغيرة إلى حربها الكبيرة.. من حروبها المؤقتة إلى حربها السرمدية.. إلى الحرب بين الخلق والخالق.. خلق الخلق من نطفة ليعرفه.. ليعبده.. ليَظهَرَه.. ليكونه.. ليوجده.. فإذا هو خصيم مبين، ما كتم خصومته، ولكن أشهر سلاحه، وسنَّ قلمه، وأظهر وأعلى في الخصومة صوته.. يُبِن.. يتكلم.. يدافع.. يماري.. ينافق ضميره.. يخاصم نفسه.. يجافي حقيقته.. يكتم قلقه.. يُظهر غير ما يبطن.. يظهر إيمانا بما يقول ويبطن شكا فيما يعمل.. يظهر توحيدا ويبطن تعديدا..

هذه هي الحقيقة الخالدة والمعركة الدائمة، يقوم السلام بغلبة أهل السلام، وبنشر دين السلام، ويختفي السلام في اختفاء أهل السلام، وغلبة أهل الخصام.. دواليك.. الأيام يداولها بين الناس.

ها نحن الآن نودع ليلا من خصام، ونستقبل نهارا من سلام طامعين في نشر ألوية السلام على ربوع هذه الأرض، دارًا للسلام. سوف ترفع ألوية السلام في مشارقها، وفي مغاربها باسم السلام، وبالعمل للسلام.

ها نحن هنا لم نحرم نصيبنا في المعركة القائمة من معارك السلام، ونسأل الله أن لا نحرم نصيبنا في المعركة القادمة من معارك السلام فندخل في لا إله إلا الله، ونرفع بنود لا إله إلا الله، ونقوم رجلا واحدا محمدا رسول الله، نَظْهَره الناس، فيقوم الناس من كل الأجناس. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم قنا شرور أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقك. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا. اللهم أنزل على قلوبنا سكينتك، وعلى أرضنا سلامك ورحمتك.. اللهم قومنا بكرمك وجودك، وعافنا من إقامة عدلك. اللهم عاملنا بما أنت له أهل، وعافنا مما نحن له أهل... اللهم أعلِ كلمة الحق والدين، وانشر لواء السلام والإسلام واليقين، واجعلنا جميعا من المسلمين. اللهم اغفر لنا، وتب علينا وارحمنا، وولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا. وأصلح شأننا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، أئمة ومؤتمين، علماء ومتعلمين، متابعين ومجاهدين، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

دعا الرسول سائر العوالم إلى ربه معلوما عنده وعلما عليه، وظهر بينهم لهم من أنفسهم بما هم عليه، فعرفته البشرية بشرا، وعرفه منها أهل القلوب قلبا، وعرفه أهل القوالب والجلود قالبا وجلدا، كما عرفه أهل النفوس نفسا، وأهل العقول عقلا. وأدركه أهل الأرواح روحا، كما قدره أهل الأشباح شبحا.

أما الأكوان فقد رأته كونا، كما رآه الوجود وجودا، كما عرف الربانيون فيه ربا، واجتمع الآلهون به آلها، كما اجتمع العبيد فيه عبدا، واجتمع الأوادم عليه آدما لهم، والملائكة عليه ملكا منهم وعليهم.

إنه المرآة الصافية التي رأت وترى الكائنات فيها وجودها على ما هي عليه. أما هو فهو على ما هو عليه ما عرف غير ربه، ولم يعرف هو عنه إلا بما رآه فؤاده وبصيرته مما أحاط به من علم عن الله بإذنه، في نفسه، وفي حسه، وفي قيامه، وفي روحه، وفي عقله، وبقي هو مجهولا على نفسه.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ١
٢ سورة غافر - ١
٣ سورة مريم - ١
٤ سورة يوسف - ١
٥ سورة طه - ١